فاعلية الأنّساق البصرية في إثراء تعليمية اللغة العربية

– دراسة في ميدان فهم المكتوب للسنة الأولى ابتدائي–

The old critics' attitude to the thefts of abi Tammam and al-Mutanabbi

طارق زيناي[1]

[1]جامعة العربي بن مهيدي * أم البواقي * (الجزائر)، البريد الالكتروني: zinaitarek@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/08 تاريخ القبول: 2020/06/03 تاريخ النشر: 2020/06/17

المُلَخَّصُ:

تعدُّ السرقة الشعرية من أقدم الظواهر في الأدب العربي؛ حيث تضافرت الشواهد على ذلك في مختلف العصور، الأمر الذي حدا بالنقاد إلى تناولها من خلال تعلقها بالشعر والشعراء، ويظهر ذلك في كثرة المؤلفات المصنفة في هذا الصدد، وقد جاءت مرتبطة بقضايا نقدية أخرى كالانتحال واللفظ والمعنى والخصومة بين القدماء والمحدثين، ولكنها في كثير من الأحيان اتخذت وسيلة لإسقاط الشعراء وتجريحهم واتهامهم، وقد تجلى هذا الأمر أكثر في العصر العباسي، وخاصة مع ظهور التيار التجديدي، ممثلا في بشار بن برد وأبي نواس وأبي تمام والمتنبي وغيرهم، ما ستدعى وقوف النقاد معهم أو ضدهم في هذه السرقات، من هذا المنطلق سيحاول هذا المقال التطرق إلى موقف النقاد القدامى من سرقات أبي تمام والمتنبي، بوصفهما من أهم من طالتهم سهام النقد والطعن.

الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَةُ: النقد القديم، السرقات الشعرية، أبو تمام؛ البحتري؛ الآمدي؛ القاضي الجرجاني.

ABSTRACT :

Poetic theft is one of the oldest phenomena in Arabic literature, where evidence of this has been combined in various eras, which led

المؤلف المرسل: طارق زيناي .

critics to address it through its attachment to poetry and poets, and this is reflected in the many works classified in this regard, and it was linked to other critical issues. Such as plagiarism, pronunciation, meaning and antagonism between the ancients and modernists, but it has often taken a way to overthrow poets and injure them and accuse them, and this was most evident in the Abbasid era, especially with the emergence of the regenerative current, represented by Bashshar ibn Bord and Abi Nawwas, and Abu Tammam, and Al-Mutanabbi and others, which will call for the critics to stand with them or against them in these theft .This article will try to address the position of the old critics of the thefts of Abu Tammam and al-Mutanabbi, as one of the most important of those who have been touched by the arrows of criticism and stabbing.

Keywords ; Old Criticism, Poetic Thefts, Abu Tammam; Al-Mutanabbi; Al-Aimdi; alkadi Al-Jarjani.

نَصُّ المَقَالِ:

لقد استأثرت قضية السرقات الشعرية باهتمام جلُّ الناقدين القدامى، بحيث « لا تكاد تجد كتابا في البلاغة أو في النقد الأدبي خاليا من البحث في هذا الموضوع، ومن الجدل الشديد في مسائله، والعناية به كأنه شيء غريب لم تعرفه الآداب اللغوية، أو أمر منكر ليس من شرعة الحياة العقلية أن تسمح به »[1]، وهي من الاتساع في أنواعها ومسمياتها وشواهدها، بحيث من تناولها لم يكد يستطيع استيفاء مباحثها وعناصرها، وليس هذا إلا للعارف الحاذق، يقول عنها القاضي الجرجاني : « وهذا باب لا ينهض به إلا الناقد البصير، والعالم المبرِّز، وليس كل من تعرّض له أدركه استوفاه واستكمله، ولستَ تعدُّ من جهابذة الكلام، ونُقّاد الشعر، حتى تميّز بين أصنافه وأقسامِه، وتحيط علماً برُتَبه ومنازله »[2]، ولا يمكن معرفة مواطن السرقة بين الشعراء إلا بحفظ الشعر الكثير والتمكن منه، يقول ابن الأثير : « من المعلوم أن السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها إلا بحفظ الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد، فمن رام الأخذ بنواصيها، والاشتمال على قواصيها، بأن يتصفح الأشعار تصفحا، ويقتنع بتأملها ناظرا؛ فإنه لا يظفر منها

إلا بالحواشي والأطراف » [3]، ولهذا يرى إحسان عباس أنَّ من بين أهم دوافع نشوء قضية السرقات الشعرية في الدرس النقدي القديم « هو اتصال النقد بالثقافة، ومحاولة الناقد أن يثبت كفايته في ميدان الاطلاع، ثم تطور الشعور بالحاجة إلى البحث في السرقات خضوعاً لنظرية – ربما كانت خاطئة – وهي أن المعاني قد استنفدها الشعراء الأقدمون » [4]بل إن الأمر يمكن أن يرجع إلى ترفٍ نقدي كان يعيشه أصحابه، إظهارا لتمكُّنه وقدرته على كشف مواطن السرقات من عدمها.

وقد زاد الاهتمام بها أكثر في القرن الرابع الهجري مع الخصومة التي حدثت بين أنصار أبي تمام والبحتري، وهي أولا وآخرا معيارٌ جعله النقاد والدارسون يعرفون به أصالة الشعراء وتمكنهم من صناعتهم، وعلاقتهم بغيرهم من السابقين والمعاصرين لهم، ومعلوم أن السرقات الشعرية أكثر ما ترتبط بالفحول من الشعراء؛ لأنهم مقصد السامعين وموئل الراغبين في سماع الشعر العالي، ولهذا كثرت المصنفات في سرقاتهم إتهاما أو تبرئة، وعلى رأس أولئك الشعراء نجد أبا تمام والمتنبي؛ اللذيْن شغل الناس بشعريتهم الفذة، وابتكاراتهم البديعة، ولكن قبل تناول هذه القضية كما نظر لها النقاد القدماء، لابد من الإشارة إلى معنى السرقة في اللغة والاصطلاح :

مَفْهُومُ السَّرِقَةِ :

لا خلاف بين العقلاء أن السرقة شيء ذميم، بغيض إلى النفوس والطبائع والفطر السليمة، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، فجاء تحريمه في الدين الإسلامي وغيره من الأديان قبله، ولهذا رتَّب الله على مرتكبها قطع اليد إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع، يقول تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة : 38]، يقول عنها محمد مصطفى هدارة : « السرقة – مهما كان موضوعها – شيء مستكره، ولفظ بغيض، تنكره الأسماع، وتزدريه النفوس، وتوضع من أجله القوانين لتردع أولئك الذين يسلبون حقوق غيرهم وما يمتلكون » [5]

وللسرقة أسباب تؤدي إليها منها : الفقر والعوز، ومنها حب التملك والسيطرة.

يعرف ابن منظور السارق؛ الذي جاء منه وصف السرقة بقوله : « السَّارِقُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْ جَاءَ مُسْتَتِراً إِلَى حِرْزٍ فَأَخَذَ مِنْهُ مَا لَيْسَ لَهُ، فَإِنْ أَخَذَ مَنْ ظَاهِرٍ فَهُوَ مُخْتَلِس ومُسْتَلِب ومُنْتَهِب ومُخْتَرِس، فَإِنْ

مَنَعَ مِمَّا فِي يَدَيْهِ فَهُوَ غَاصِبٌ » [6] فمن التعريف السابق يتبين لنا أن السرقة لا تسمى كذلك إلا إذا توفر فيها شرطان :

- التستر أو الإخفاء.
- أخذ المرء ما ليس له.

وهذان الشرطان كما يظهر في الماديات، فهو كذلك في المعنويات، ومنه السرقات الشعرية.

وقد تتبع الشاهد البوشيخي المصطلحات المشتقة من السرقة، والتي ذكرت عند النقاد القدماء، منها [7]: سَرَقَ, سَرَّق, التسريق, السَّرَقُ, السَّرُوق, الأسرق, السراقات, الاسترَاق, التسرُّق.

وقد انتقل وصف السرقة من الحسيات إلى المعنويات، وهو المقصود في مقالنا هذا، ومعلوم أن المعنويات ليس أقل شأنا وجرما من الماديات، فهي نتاج العقول وعصارة الأدمغة.

إنَّ السرقات الشعرية قد كانت معروفة وقديمة قدم الأدب، فقد « وجدت بين شعراء الجاهلية وفطن إليها النقاد والشعراء جميعا لما لحظوا مظاهرها بين امرئ القيس وطرفة بن العبد وبين الأعشى والنابغة الذبياني، وبين أوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى » [8] ، وشواهد ذلك كثيرة تظهر معرفتهم بها.

وقد نقل ابن سلام الجمحي عن أبي عبيدة خبرا عن الشاعر الجاهلي قراد بن حنش يثبت حصول السرقات في ذلك العصر، وذلك في قوله : « كَانَ قراد بن حَنش من شعراء غطفان وَكَانَ قَلِيل الشّعْر جيده، وَكَانَت شعراء غطفان تغير على شعره فتدعيه مِنْهُم زُهَيْر بن أبي سلمى ادَّعى هَذِه الأبيات :

إِنَّ الرَّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا	مَا تَبْتَغِي غَطْفَانَ يَوْمَ أَضَلَّتِ
إِنَّ الرِّكَابَ لَتَبْتَغِي ذَا مِرَّةٍ	بِجَنُوبِ نَخْلَ إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتِ
وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ لَنَا إِذَا	نَهَلَتْ مِنَ العَلَقِ الرِّمَاحُ وَعَلَّتِ
يَبْغُونَ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ كَرِيهَةٍ	عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُمْ هُنَاكَ وَجَلَّتِ » [9]

والشواهد في هذا العصر التي تدل على ثبوت وقوع السرقات الأدبية أكثر من أن تحصر، وقد ردَّها محمد مصطفى هدارة من خلال استقرائه لها إلى ثلاثة أنواع هي [10] :

الأول : سرقات الشعراء المشهورين من شعراء القبائل المغمورين كسرقة زهير من قراد، والنابغة من وهب بن الحارث.

الثاني : سرقات الشعراء من امرئ القيس، وقد كان في نظر النقاد أول من افتتح القول في كذا وكذا من أساليب الشعر.

الثالث : سرقات ترجع أسبابها إلى اختلاف رواية الشعر، والإخفاق في الوصول إلى القائل الحقيقي، أو أنَّ الشاعر ينتحل شعر غيره انتحالا، ويسمى بعض النقاد هذا النوع من السرقات (اجتلابا)، وهي من السرقات الفاضحة التي يتميز بها العصر الجاهلي، والتي تخلو من أي تحوير فني.

بل وكانت السرقات الشعرية أظهر في العصور الإسلامية اللاحقة بدءا بعصر صدر الإسلام، ودليل ذلك قول حسان بن ثابت [11] :

لا أسرِقُ الشُّعَراءَ ما نَطَقُوا	بلْ لا يوافِقُ شِعْرُهُمْ شعْرِي
إنِّي أبَى لِيَ ذاكَ لِي حَسَبِي	ومقالَةٌ كمقالِع الصَّخْرِ

أما في العصر الأموي ، فالأمر كذلك واسع ويصعب حصره، فقد كثرت فيه الروايات والأخبار، من ذلك ما ناقض به الفرزدق جريرا، وما هجى به البعيث المجاشعي، إلا أن أكثر ما روي عن السرقات في الدرس النقدي القديم يرجع إلى العصر العباسي، بحيث شكلت في ذلك الزمن ظاهرة، ويرجع انتعاشها في هذا العصر لاتساع نطاق الأدب، حيث إن حجم السرقات مرتبط بالأدب وازدهاره، فهي تتسع وتتنوع وينتعش سوقها، كلما ازدهر الأدب وانتعش، وعموما لابد من الإقرار بأنه لا نكاد نجد شاعرا قد سلم منها، يقول ابن رشيق مقررا هذه الحقيقة: « وهذا باب متسع جداً، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدَّعي السلامة منه » [12]

ولكنها لم تظهر بوصفها قضية نقدية لها إطارها النظري والتطبيقيُّ إلا من خلال الخصومة والصراع بين القدماء والمحدثين، وبالتحديد حول أبي تمام والبحتري، بل إننا لا نجانب الصواب إذا قلنا: إنَّ قضية السرقات الشعرية ارتبطت بالمحدثين ارتباطا واضحا، بل إن كل المؤلفات النقدية تقريبا لم تتناول هذه القضية إلا واستحضرت شواهدها من شعر المولدين.

ولقد تتابعت المؤلفات في هذا الصدد، ويعدُّ ابن قتيبة من أوائل من كتب عن الأخذ بين الشعراء بعضهم من بعض، وإن لم يسمِّه بالسرقة كما عند من جاء بعده بدءا من ابن طباطبا العلوي (ت 322هـ) وأبي بكر محمد بن يحي الصولي(ت 335هـ) صاحب كتاب أخبار أبي تمام، والآمدي (ت370هـ) في الموازنة، والقاضي الجرجاني (ت392هـ) في الوساطة، ثم أبو هلال العسكري (ت395هـ) في الصناعتين، ولعلَّ ابن رشيق القيرواني(ت463هـ) في كتابه العمدة يعدُّ أجمع من تكلم عن السرقات الشعرية، من حيث إلمامه بجميع أنواعها، ثم يأتي عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في كتابيه : " دلائل الإعجاز " و" أسرار البلاغة"، الذي تناول السرقات تناولا سريعا، وابن الأثير (ت637هـ) في كتابه المثل السائر، الذي تناول الظاهرة أيضا تناولا نقديا شاملا، ولعلَّ القزويني في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة (ت793هـ) يعدُّ خاتمة من تناول هذه القضية في النقد العربي القديم.

الفَرْقُ بَيْنَ الانْتِحَالِ وَالسَّرِقَةِ :

هناك تشابه واضح بين الانتحال والسرقة، من حيث إضافة القول إلى غير قائله، أما الفرق بينهما فيرجع إلى أنَّ الانتحال أن ينسب الشاعر إلى نفسه شعر غيره، كما فعل جرير مع بيتي المعلوط السعدي :

إنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غَادَرُوا	وَشَلًا بِعَيْنِكَ لَا يَزَالَ مَعِينَا
غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي:	مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الهَوَى وَلَقِينَا؟

يقول ابن رشيق : « فإن الرواة مجمعون على أن البيتين للمعلوط السعدي انتحلهما جرير وانتحل أيضاً قول طفيل الغنوي:

وَلَمَا الْتَقَى الحَيَّانِ أَلْفَيْتُ العَصَا	وَمَاتَ الهَوَى لَمَا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ »[13]

أو أن ينسب إلى غيره شعره، كما كان يصنع حماد وخلف وابن إسحاق وغيرهما.

إذن فالسرقة أعم من الانتحال؛ لأنها تتناول الانتحال وغيره، هذا من جهة ومن جهة ثانية أن أسباب الانتحال، هي غير أسباب السرقة، حيث إن الانتحال يرجع للتزيد في الشعر لمن قلَّ عنده، كما كانت تصنع بعض القبائل حتى تلحق بغيرها في المجد وذكر الأيام والمآثر، أيضا ما فعله الرواة وأبناء

الشعراء في القول على ألسنة غيرهم، أما السرقة؛ فهي أخذ شعر الغير من خلال معانيه وألفاظه، إعجابا به ورغبة في تملُّكه، أو عندما يجبل (لا تسعفه قريحته) عن قول الشعر.

أَسْبَابُ التَّسْرِيقِ :

المتأمِّل للدرس النقدي القديم – فيما يخصُّ السرقات الشعرية – يجد أنه قد تناول أسبابا أدت إلى بروز ظاهرة التسريق أو الاتهام بالسرقة، وهي بمجموعها ترجع إلى ما يلي :

- قضية الخصومة بين القدماء والمحدثين، وما نتج عنها من اتهامات بالسرقة طالت المحدثين بشكل عامٍ وأبا تمام والبحتري والمتنبي بشكل أخص، حيث ظهر في هذه الخصومة من جعل من أولئك الشعراء أصحاب مذهب جديد في الشعر لم يُسبقوا إليه، فـ« لم يجد خصوم هذا المذهب سبيلا إلى ردِّ ذلك الادعاء خيرا من ان يبحثوا للشاعر عن سرقاته ليدلوا على أنه لم يجدد شيئا، وإنما أخذ عن السابقين ثم أبلغ وأفرط » [14]
- المنافسة والعداء بين الشعراء أنفسهم، خاصة المشهورين منهم، ما دعاهم لاتهام بعضهم بعضا بالسرقة والسطو على شعر الغير، وشاهد ذلك ما هجا به ابنُ الرومي البحتريَّ بسرقته شعر غيره، وذلك في قوله[15] :

يُسِيء عَقَّاً، فَإنَ أَكْدَتْ مَسَائِلَهُ	أَجَادَ لِصّاً شَدِيدَ البَأْسِ وَالكَلَبِ
عَبْدٌ يُغِيرُ عَلَى المَوْتَى فَيَسْلُبُهُمْ	حُرَّ الكَلَامِ بِجَيْشٍ غَيْرِ ذِي لَجَبِ
مَا إنْ تَزَالُ تَرَاهُ لَابِساً حُلَلاً	أَسْلَابَ قَوْمٍ مَضَوا فِي سَالِفِ الحِقَبِ
شِعْرٌ يُغيرُ عَلَيْه بَاسِلاً بَطَلاً	وَيُنشدُ النَّاسَ إِيَّاهُ عَلَى رِقَبِ

- إبراز معرفة الناقد بمواطن السرقة والأخذ بين الشعراء– خاصة وأن هذا الفعل لا يحسنه إلا الحذاق منهم كما أشرنا– بحيث يعلو قدره بين الناس، كما فعل الحاتمي، وابن وكيع والصاحب بن عباد والعميدي وغيرهم.

- الحطُّ من بعض الشعراء الذين ثبتت شاعريتهم وعلا كعبهم، كالمتنبي الأمر الذي جلب له الحساد والمتربصين، فاتهموه لأجل ذلك بالسرقات، خاصة وأن شخصيته المتعالية والمتعاظمة، ساعدت على ذلك، فهو الصوت وغيره الصدى.
- العصبية بين النقاد والرواة في الحكم على شعر الشعراء، من ذلك ما أجاب به الأصمعي عن سؤال أبي حاتم « كيف شعر الفرزدق؟ قال: تسعة أعشار شعره سرقة » [16]، قال المرزباني معلقا على الرواية السابقة بعد إيرادها : « وهذا تحامل شديد من الأصمعي وتقوُّلٌ على الفرزدق لهجائه باهلة، ولسنا نشكُّ أنَّ الفرزدق قد أغار على بعض الشعراء في أبيات معروفة، فأما أن نطلق أنَّ تسعة أعشار شعره سرقة فهذا محال » [17]، وإن كان للفرزدق صولات وتاريخ حافل في الإغارة والسطو على شعر غيره كالنابغة والأعلم العبدي وذي الرمة وجميل بن معمر والشمردل اليربوعي وابن ميادة وغيرهم.

وهنا نقطتان لابد من الإشارة إليهما؛ **الأولى**: أن إضافة السرقات للشعر هي الأغلب في الاستعمالات النقدية، وهذا لمنزلة الشعر من جهة، ولاعتباره الأكثر تعرُّضا لهذه القضية، وإلا فالسرقة تطال الأدب والفنَّ كله، ولهذا نجد المصطلح الغالب في الدراسات الحديثة هو السرقات الأدبية، **والثانية** : أنَّ أخذ الناس بعضهم عن بعض أمرٌ حتميٌّ وقانون لغوي ثابت، لا يمكن لأحدٍ مخالفته، يقول أبو هلال العسكري مقررا هذه الفكرة : « لولا أنَّ القائل يؤدّي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول؛ وإنما ينطق الطّفل بعد استماعه من البالغين » [18]، بل سبقه في هذا علي رضي الله عنه بقوله : « لولا أن الكلام يعاد لنفد » [19] فاللغة إذن بهذا المعنى نظام تواصلي / تداوليٌّ يأخذ فيه اللاحق من السابق، ولهذا كان لزاما أن يظهر التشابه، وأخذ الناس بعضهم من بعض.

مَوْقِفُ النُّقَادِ القُدَامَى مِنْ سَرِقَاتِ أَبِي تَمَّامٍ وَالمُتَنَبِّي :

وفيما يأتي سنحاول أن نمثل بآراء النقاد القدماء لأكثر اثنين اتُّهما بالسرقة من فحول الشعراء العباسيين وهما أبو تمام والمتنبي :

سَرِقَاتُ أَبِي تَمَّامٍ (ت 231هـ) :

لقد تناول النقاد سرقات أبي تمام، لما علا نجمه وارتفعت منزلته وشاع شعره، وكان رأيهم فيه يدور بين النقد الذاتي، والاتهامات الباطلة أحيانا والغالية في التجريح والثلب أحيانا أخرى، وبين النَّقد المؤسَّس والأحكام المثبتة، وفي هذا الصدد يرى محمد مندور أن دراسة السرقات الشعرية دراسة منهجية – التي لم يكن للَّنقد سابق عهد بها – لم تظهر إلا مع موجة التجديد التي بلغت مداها مع أبي تمام، من خلال ما أُلف حوله بدايةً مع كتاب " سرقات الشعراء " لأحمد بن أبي طاهر طيفور (ت 280هـ)، وما جاء بعده من مؤلفات وازنة وعلى رأسها :" الموازنة بين الطائيين "

ويرجع هذا الترجيح عنده لأمرين[20] :

1/ أن الخصومة العنيفة بين أنصار أبي تمام وخصومهم، قد أفرزت لنا طرح مسألة السرقات الشعرية كأهم المطاعن في أبي تمام، ولهذا كان تناول النقاد واضحا كمًّا وكيفا.

2/ أنَّ أنصار البحتري وعمود الشعر كي يردوا على أنصار أبي تمام ادعاءهم إمامته في الشعر واختراعه مذهبا بديعيا جديدا لم يكن للعرب سابق علمٍ به، لم يجدوا من وسيلة كي يبطلوا هذا الادِّعاء، ويميلوا بالكفة للبحتري غير التركيز على سرقات أبي تمام، وأنه « لم يجدد شيئا، وإنما أخذ عن السابقين ثم بالغ وأفرط »[21]

إلا أن محمد مصطفى هدارة لم يقتنع بهذا الحكم من محمد مندور، ورأى أن هناك دراسات منهجية سبقت ما أُلِّف حول أبي تمام، منها كتاب : " سرقات الكميت من القرآن وغيره " لأبي محمد عبد الله بن يحي المعروف بـ" ابن كناسة (ت 207هـ)، وكتاب: " سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه " لابن السكيت (ت 240هـ)، وكتاب :" إغارة كثيِّر على الشعراء " للزبير بن بكار بن عبد الله القرشي، يقول معلقا بعد إيراده لهذه الكتب : « ولا نتصور أن هذه الكتب جميعها لا تدرس السرقات دراسة منهجية، حقيقة إن هذه الكتب لم تصل إلينا، وصحيح أن أسماءها لا تدل على ما في بطونها من دراسة، ولكنا نستبعد مع ذلك أن تكون هذه الكتب الثلاثة خالية من دراسة منهجية، خاصة وأننا نلمح فيها تخصيصا لا تعميم فيه »[22]

وفيما يأتي نشير إلى أهم مواقف النقاد من سرقات أبي تمام :

مَوْقِفُ مُنَاوِئِي أَبِي تَمَّامٍ مِنْ سَرِقَاتِهِ:

لقد كثر خصوم أبي تمام ومنتقدي شعره؛ إما جهلا بصناعته الشعرية، وإما حسدا وغيرة ورغبة في الظهور والشهرة، حتى وصل الحد ببعضهم، عند ذكر سرقاته أن زعم أنه لم يبتكر في شعره إلا ثلاثة معانٍ، والباقي كلها هي نصيب القدامى من شعره، يقول في هذا أبو علي محمد بن العلاء السجستاني : « إنه ليس له معنى انفرد به فاخترعه إلا ثلاثة معان » [23]، وغير بعيد من هذا موقف الشاعر دعبل بن علي الخزاعي (ت 246هـ)؛ الذي تواتر عداؤه لأبي تمام، فلم يعتبره شاعرا وإنما خطيبا، حتى إنه لم يدخله في كتابه : "كتاب الشعراء "، بل قال عنه : « ثلث شعره سرقة، وثلثه غثٌّ، أو قال غثاء، وثلثه صالح »[24] واتهمه بسرقة شعره، كما يروي ذلك « أبو بكر هارون بن عبد الله المهلبي قال: كنا في حلقة دعبل، فجرى ذكر أبي تمامٍ، فقال دعبل: كان يتتبَّع معانيَّ فيأخذها، فقال له رجل في مجلسه: ما من ذاك أعزك الله؟ قال، قلت:

إِنَّ امْرَأً أَسدَى إِليَّ بشافعٍ	إِلَيْهِ وَيَرْجُو الشُّكْرَ مِنِّي لأَحْمَقُ
شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الحَوَائِجِ إِنَّهُ	يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يُخْلِقُ

فقال له الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ قال، قال:

فلَقِيتُ بين يَديكَ حُلوَ عَطائِهِ	ولَقيتَ بين يدَيَّ مُرَّ سُؤَالِه
وإذا امرُؤٌ أَسْدَى إِليَّ صنيعةً	مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِه

فقال الرجل: أحسن والله، فقال: كذبت قبَّحك الله، فقال: والله لئن كان أخذ هذا المعنى وتَبِعْتَهُ فما أحسنت، وإن كان أخذه منك، لقد أجاده فصار أولى به منك، فغضب دعبلٌ وقام » [25]

من الشواهد السابقة يتبين لنا أن دعبلا وغيره في نقدهم لأبي تمام اختلطت عندهم الأحكام المؤسسة والمقبولة مع الأحكام المجحفة القائمة على الأهواء وحظوظ النفس ليس إلا، فأبو تمام ثبتت عليه السرقة والأخذ عن القدامى، ولكن ليست بالصُّورة التي صورها عليه دعبل وأمثاله من الحاقدين.

والشاهد السابق يبين لنا مبلغ عداوة الشعراء – فضلا على النقاد – لأبي تمام، ولهذا كثرت فيه الاتهامات

ولعلَّ هذا فيه من الشطط الكبير الذي يبرز العداوة والملاحاة بين النقاد والشعراء، والتي تصل ذروتها مع المتنبي في القرن الرابع.

مَوْقِفُ أَنْصَارِ أَبِي تَمَّامٍ مِنْ سَرِقَاتِهِ :

يعدُّ الآمدي في موازنته بين الطائيين الأقرب إقبالا على شعر البحتري منه إلى أبي تمام، ولكن هذا الميل لم يمنعه من إنصاف الرجل في كتابه، فقد ذكر له حسنات، وسيئات والأمر نفسه مع البحتري، بل إنه في قضية السرقات الشعرية التي اتُّهم بها أبو تمام – إن حقا أو باطلا – نراه ينصب ميزان العدل فيثبت ما ثبت عنه، وينفي ما لا يصحُّ اعتباره سرقة، وقد عزا شيوع هذه الظاهرة في شعره إلى « اطلاعه الواسع على الشعر واهتمامه به، ودراسته وجمعه في كتب مشهورة معروفة » [26]، وهذا ما لاحظه عليه ابن أبي طاهر، بحيث يمكننا القول : إن السرقات التي كشفها نقاده يمكن أن تُقاس من ما خفي منها، وهو الحفاظة الموسوعيُّ.

لقد خصَّ الآمديُّ " سرقات أبي تمام " بالباب الأول من كتابه بعد ذكر منهجه، حيث سرد أقوال سابقيه فيه، وحاول أن يبين ما يراه سرقة صحيحة مثبتة من غيرها، والأمر نفسه مع البحتري، حيث ركز على سرقات هذا الأخير معاني أستاذه أبي تمام، وقد تكلم عن أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت 280هـ) في كتابه : " سرقات الشعراء"، الذي تناول فيه سرقات أبي تمام، حيث ذكره في موازنته في أكثر من موضعٍ، يرى فيها أنه قد أصاب في بعضها وأخطأ في البعض الآخر، فيقول في النوع الثاني : « ووجدت ابن طاهر خرَّج سرقات من المعاني بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا » [27] ثم ذكر الشواهد التي يرى فيها أصابة ابن أبي طاهر، وقد عدَّ منها الآمدي زهاء واحدا وثلاثين بيتا، من ذلك قول أبي تمام [28] :

كَمَا كَادَ يُنْسَى عَهْدُ عَمْيَاءَ بِاللِّوَى	وَلَكِنْ أَمَلَّتْهُ عَلَيْهِ الحَمَائِمُ

فقد أخذه من العتَّابي، الذي يقول :

بَكَى فَاسْتَمَلَّ الشَّوْقَ مِنْ ذِي حَمَامَةٍ	أَبَتْ فِي غُصُونِ الأيْكِ إلَّا تَرَنُّمَا

وقول أبي تمام [29] :

يَتَجَنَّبُ الآثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَا	فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ

فقد أخذه من أبي العتاهية، الذي يقول :

لَمْ يَنْتَقِصْنِي إِذْ أَسَأْتُ وَزَادَنِي	حَتَّى كَأَنَّ إِسَاءَتِي إِحْسَانُ

أما ما يرى أنه من المشترك المعنوي، وليس من السرقة – كما ذهب إلى ذلك ابن أبي الطاهر – فقد عدَّ له ست أبيات من ذلك قول أبي تمام :

أَلَمْ تَمُتْ يَا شَقِيقَ الجُودِ مُذْ زَمَنٍ؟	فَقَالَ لِي: لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهْ

قال: أخذه من قول العتَّابي:

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ	كَأَنَّهُ مِنَ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

يعلق الآمدي على الدعوة السابقة من ابن أبي طاهر بقوله : « ومثل هذا لا يقال له مسروق؛ لأنه قد جرى في عادات الناس – إذا مات الرجل من أهل الخير والفضل، وأثني عليه بالجميل – أن يقولوا: ما مات من خلَّف مثل هذا الثناء، ولا من ذكر بهذا الذكر، وذلك شائع في كل أمة، وفي كل لسان » [30]

وقول أبي تمام كذلك :

إِذَا عُنِيتُ بِشَيءٍ خِلْتُ أَنِّي قَدْ	أَدْرَكْتُهُ، أَدْرَكَتْنِي حِرْفَةُ الأَدَبِ

قال: أخذه من قول الخريمي:

أَدْرَكَتْنِي – وَذَاكَ أَوَّلُ دَأْبِي–	بِسِجِسْتَانَ حِرْفَةَ الآدَابِ

يقول الآمدي أيضا معلقا : « و((حرفة الآداب)) لفظة قد اشترك الناس فيها، وكثرت على الأفواه، حتى سقط أن نظن أن واحداً يستملُّها من آخر، هذا قول أبي طاهر، ولم يقل أبو تمام ((أدركتني حرفة الأدب)) إنما قال ((أدركتني حرفة العرب)) وقد ذكرت غلطه في هذه اللفظة عند ذكر البيت فى الموازنة » [31]

وعموما فإن الآمدي في ذكر سرقات أبي تمام قد قدم زخما نقديا / لغويا لا بأس به، استطاع من خلاله أن يفصل – ولو نسبيا — في هذه القضية التي طال فيه النزاع، واختلفت فيها الآراء بين مؤيدي أبي تمام وخصومه.

وممَّن ذكر سرقاته فعدل فيها المرزباني، الذي قال في حقِّه : « وللطائي سرقات كثيرة أحسن فى بعضها وأخطأ في بعضها » [32]، ولكنه مع ذلك لا يلبث أن يتَّهمه بالسرقة الشعرية من خلال جمعه أشعار القدامى في كتاب الحماسة، وأخذه منهم كثيرا من شعرهم، فيقول :« ولما نظرت فى الكتاب الذي ألفه فى اختيار الأشعار وجدته قد طوى أكثر إحسان الشعراء، وإنما سرق بعض ذلك، فطوى ذكره، وجعل بعضه عدَّةً يرجع إليها في وقت حاجته، ورجاء أن يترك أكثر أهل المذاكرة أصول أشعارهم على وجوهها، ويقنعوا باختياره لهم؛ فتغبى عليهم سرقاته » [33]

سَرِقَاتُ المُتَنَبِّي (ت354هـ) :

مـمَّا لا يخفى على أحد أن شخصية المتنبي وشعريته واعتداده بنفسه وطموحه الزائد؛ هي من جعل معاصريه يطعنون فيه وينتقدونه، ويتحاملون عليه، ويسعون في إسقاطه، وذلك منذ أن نال الحظوة الكبرى عند سيف الدين الحمداني في بلاطه، هذا البلاط الذي يصفه الثعالبي (ت 429هـ) بقوله : « مقصد الْوُفُود ومطلع الْجُود وقبلة الآمال ومحط الرّحال وموسم الأدباء وحلبة الشُّعَرَاء وَيُقَال إِنَّه لم يجْتَمع قطّ بِبَاب أحد من الْمُلُوك بعد الْخُلَفَاء مَا اجْتمع بِبَابِهِ من شُيُوخ الشّعْر ونجوم الدَّهْر وَإِنَّمَا السُّلْطَان سوق يجلب إِلَيْهَا مَا ينْفق لَدَيْهَا وَكَانَ أديبا شَاعِرًا محبا لجيد الشّعْر شَدِيد الاهتزاز لما يمدح بِهِ » [34]

ولم يقف الأمر عند شعراء البلاط الحمداني بل في كل مكان قصده في مصر والبصرة وبغداد وغيرها، من ذلك ما يرويه الثعالبي ذاكرا تزاحم الشعراء على هجاء المتنبي، وموقفه منهم بقوله : « لما قدم أَبُو الطّيب من مصر إِلى بَغْدَاد وترفع عَن مدح المهلبي الْوَزِير ذَهَابًا بِنَفسِهِ عَن مدح غير الْمُلُوك شقّ ذَلِك على المهلبي فأغرى بِهِ شعراء بَغْدَاد حَتَّى نالوا من عرضه وتباروا فِي هجائه وَفِيهِمْ ابْن الْحجَّاج وَابْن سكرة مُحَمَّد بن عبد الله الزَّاهِد الْهَاشِمِي والحاتمي وأسمعوه مَا يكره وتماجنوا بِهِ وتنادروا عَلَيْهِ فَلم يجبهم وَلم يفكر فيهم وَقيل لَهُ فِي ذَلِك فَقَالَ إِنِّي فرغت من إجابتهم بِقَوْلِي لمن هم أرفع طبقَة مِنْهُم فِي الشُّعَرَاء :

أَرَى المَتَشَاعِرِينَ قَدْ غُرُّوا بِذَمِّي	وَمَنْ ذَا يَحْمِلُ الدَّاءَ العُضَالَا
وَمنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ	يَجِدُ مُرًا بِهِ المَاءَ الزُّلَالَا

وَقَوْلِي :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِي شَوَيْعِرٌ	ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ
لِسَانِي بِنُطْقِي صَامِتٌ عَنهُ عَادِلٌ	وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ
وَأَتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ	وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنَ لَا تُشَاكِلُ

وَقَوْلِي :

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ	فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ » [35]

ولهذا نحن لا نجانب الصواب إذا قلنا لا يوجد في تاريخ الشعر العربي من عداه الناس وذموه وانتقدوه كـالمتنبي، حيـث ألِّفـت في ذلـك الكتـب والمصـنفات، منهـا رسـالة الصـاحب بـن عبـاد (ت 385هـ) الموسومة : : " الكشـف عـن مسـاوئ المتنبي" ورسـالةٍ لأبي علي محمـد بـن الحسـن الحـاتمي (ت 388هـ)، موسومة " الموضـحة "، التي ألفهـا في ذمه والتحامل عليه واتهامه بالسرقات، هـذه الأخيرة التي جعلهـا في حقِّ المتنبي قسمين :

القِسْمُ الأوَّلُ : سرقاته من جيد الموروث الشعري والكلامي العربي، « ولذلك لا يرى الحاتمي له فضلا، وأن جيد شعره مسروق، والأبيات غير الجيدة من خاطره » [36]

القِسْمُ الثَّانِي: سرقاته من حكم أرسطو؛ والتي أوصلها إلى مائة بيت، وإن كان قد ذكر أنَّ كثيرا من هذه الحكم هي من الشائع بين الناس، والتي لا فضيلة لأحد فيها، ولكنَّ تركيزه على حكم المتنبي يدل على مقصدٍ بعيد، يراد من وراء نسبتها إلى غيره، تعريته من أظهر غرض اشْتُهِرَ به وهو الحكم والأمثال السائرة.

وممَّن ألف كذلك في سرقات المتنبي أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع (ت 393هـ) كتابه :" المنصف للسارق والمسروق في إظهار سرقات المتنبي "، والذي لم يكن منصفا فيه ولا عادلا، بل فيه خلط كبيرٌ، كما لاحظ ذلك النقاد بعده، من ذلك قول ابن رشيق : « وأما ابن وكيع فقد قدَّم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعرٌ إلا الصدر الأول إن سلم ذلك لهم، وسمَّاه كتاب المنصف مثل ما سمي اللديغ سليما، وما أبعد الإنصاف منه » [37]

وأيضا ما رواه ابن القارح بقوله : « كان أبو محمد بن وكيع متأدباً ظريفاً، ويقول الشعر، وعمل كتاباً في سرقات المتنبي، وحاف عليه كثيراً، وسألني يوما أن أخرج معه، واستصحب مغنياً وأمره ألا يغنِّي إلا بشعره فغنَّى:

لَوْ كَانَ كُلُّ عَلِيلٍ	يَزْدَادُ مِثْلَكَ حُسْنَا
لَكَانَ كُلُّ صَحِيحٍ	يَوَدُّ لَوْ كَانَ مُضْنَى
يَا أَكْمَلَ النَّاسِ حُسْنَاً	صِلْ أَكْمَلَ النَّاسِ حْزْنَا
غَنِيتَ عَنِّي وَمَالِي	وَجْهٌ بِهِ عَنْكَ أَغْنَى

فقلت له: هل تثقل عليك المؤاخذة؟ قال: لا، فقلت: إنَّ أبياتك مسروقة: الأول من قول بعضهم:

فَلَوْ كَانَ المَرِيضُ يَزِيدُ حُسْنَاً	كَمَا تَزْدَادُ أَنْتَ عَلَى السِّقَامِ
لَمَا عِيدَ المَرِيضُ إِذَنْ وَعُدَّتْ	شِكَايَتُه مِنَ النِّعَمِ الجِسَامِ

والثاني من قول رؤبة:

سَلْمُ مَا أَنْسَاكِ مَا حَيِيتُ	لَوْ أَشْرَبُ السَّلْوَانَ مَا سَلِيتُ
مَالِي غِنَى عَنْكِ وَلَوْ غَنِيتُ	

فقال: والله ما سمعت بهذا، فقلت: إذا كان الأمر على هذا فاعذر المتنبي على مثله، ولا تبادر إلى الحط عليه، ولا المؤاخذة له، والمعاني يستدعي بعضها بعضاً » [38]

وممَّن سار على النهج نفسه، وألف في سرقات المتنبي أبو سعد محمد بن أحمد العميدي (ت 433هـ) صاحب كتاب : " الإبانة عن سرقات المتنبي "الذي لم يألُ جهدا في سبيل الحط من المتنبي، حيث إنَّه قدم بمقدمة ذكر فيها آفة التقليد في الرأي، من غير فهم وإدراك، وهو في هذا يعرِّض بالمتنبي الذي اغترَّ بشعره كثير ممن بضاعتهم في معرفة الشعر مزجاة، وليس حكمهم له بالتفوق والإجادة والتميز إلا تعصبا فارغا له، ثم عقب بعد ذلك بقوله : « ولقد تأملت أشعاره كلَّها فوجدتُ الأبيات التي يفتخر بها أصحابه، وتُعتبر بها آدابُه من أشعار المتقدمين منسوخة، ومعانيها من معانيهم المخترعة مسلوخة، وإني لأعجب والله من جماعة يغلون في ذكر المتنبي وأمره، ويدّعون الإعجاز في شعره، ويزعمون أن الأبياتَ

المعروفةَ له هو مبتدعها ومخترعها ومُحْدِثها ومفترعها، لم يَسبق إلى معناها شاعر، ولم ينطق بأمثالها باد ولا حاضر، وهؤلاء المتعصبون له المفتخرون باللُّمعِ التي يزعمون أنه أستنبطها وأثارها، والمعتدّون بالفِقَرَ التي يدّعون أنه افتضَّ أبكارها، والمترنمون بأبيات سائرة يذكرون أنه أنفرد بألفاظها ومعانيها، وأغرب في أمثلتها ومبانيها، والمتمثلون بها في مجالسهم ونواديهم، والمستعملون لها في خَلَواتهم وأغانيهم كيف لا يستحيون أن يقولوا بعصمته، ويتهالكوا في الدلالة على حكمته، وكيف يستجيزون لنفوسهم، ويستحسنون في عقولهم أن يشهدوا شهادة قاطعة، ويحكموا حكماً جزماً بأنها له غيرُ مأخوذة ولا مسروقة، وأن طرائقها هو الذي ابتدأ بتوطئتها غيرَ مسلوكة لغيره ولا مطروقة؟ » [39]

وقد ظهر في الكتاب كله تحاملٌ جعل من جاء بعده ينبُّهون على هذا، ويشيرون إلى تعصبه عليه ونقده بغير وجه حقٍّ في كثير مما ذكره من سرقاته، من ذلك قول البديعي : « وكان الشيخ أبو سعد محمد بن أحمد العميدي عن أبي الطيب في غاية الانحراف، حائدا في التمييز عن سنن الإنصاف، ونحن نورد كلامه، ونرد في نحره سهامه، فإنه تجاوز الحد، وأكثر الرد » [40]، الذي راح يتتبع كتاب العميدي كله، فبين مواضع الحيف والتعصب فيه بتفصيل كبير.

هذه أهم الدراسات التي تكلمت عن سرقات المتنبي، والتي ظهر في أكثرها البعد عن الموضوعية والحيادية، والإيغال في اتباع حظوظ النفس، ولكن هناك في المقابل دراسات أخرى أكثر إنصاف واتباعا للمنهج العلمي والنقدي الرصين، من ذلك كتاب :" الانتصار المنبي عن فضائل المتنبي" و" بقية الانتصار المكثر من الاختصار " لأبي الحسن محمد بن أحمد المغربي، إلا أن أهم من أنصف الرجل هو أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، الذي شرح ديوان المتنبي؛ في كتابيه :" الفَسْرُ الكَبِيرُ" و" الفَسْرُ الصَّغِيرُ (تفسير أبيات المعاني في شعر المتنبي) "، وأبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت 429هـ) في كتابه : " يتيمة الدهر"، حيث أنصفه الرجلان، وبيَّنا مواطن الإحسان والإجادة، ومواطن القبح والإساءة.

إلاَّ أن أهم ما أُلِّفَ في المتنبي وخصومته مع غيره في القرن الرابع، بل وعلى مرِّ العصور هو كتاب: " الوساطة بين المتنبي وخصومه " للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 392هـ)، الذي قال عنه أبو منصور الثعالبي ذاكرا سبب تأليفه له، ومنوّها بقيمته وعلو شأنه : « لـمَّا عمل الصاحب رسَالَته

الْمَعْرُوفَة فِي إِظْهَار مساوئ المتنبي، عمل القَاضِي أَبُو الْحسن كتاب الوساطة بَين المتنبي وخصومه فِي شعره، فَأحْسن وأبدع، وَأطَال وأطاب وَأصَاب شاكلة الصَّوَاب، وَاسْتولى على الأمد فِي فصل الْخطاب، وأعرب عَن تبحره فِي الْأَدَب، وَعلم الْعَرَب، وتمكنه من جودة الْحِفْظ وَقُوَّة النَّقْد، فَسَار الْكتاب مسير الرِّيَاح، وطار فِي الْبِلَاد بِغَيْر جنَاح »[41]

إذن فقد أراد من خلاله صاحبه « أن يقف بين المتنبي وخصومه موقف المنصف، وأن يزيح الركام عن تلك الخصومة ليظهر ما وراءها ويجلو ما كان في القرن الرابع من خصومات طمست المتنبي حقه وأظهرته شاعرا كثير السطو والإغارة على شعر الآخرين » [42]

إن المتأمل لوساطة الجرجاني يلحظ أنه لم ينظر لشعر المتنبي بعدسة نقدية واحدة بل إنَّه أنصفه في محاسنه ومساوئه على السواء، والذي يهمُّنا من كل ما جاء في هذا الكتاب هو حديثه عن سرقات المتنبي؛ التي قدَّم لها بكثير من الشواهد التي ادعى فيها النُّقاد السرقة على الشعراء كأبي نواس وأبي تمام والبحتري وغيرهم، مما يجعل المتنبي ليس بدعا من السرقة التي يُرمى بها من طرف خصومه، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية أنَّ المعاني قد سبق إليها من تقدمهم، وأتى على معظمها، ولهذا هو يعتذر لأخذهم عن غيرهم، ويبعد عنهم المذمَّة واللائمة، ولعلَّ هذا التقديم كله جاء لكي يبرز شعرية المتنبي، في ابتكاره لمعانٍ وحكمٍ لم يسبق إليها.

ولكن مع هذا هو يذكر العديد من سرقاته، ويسمي كل نوع منها بتسمية، كما قررها من سبقه، ويجعل منها المذمومة والممدوحة، وقد استقصى في كتابه سرقات المتنبي، بما لا مزيد عليه، خاصة وأنَّ كثيرا منها قد نبَّه عليه من أشرنا إليهم كالصاحب بن عباد وابن وكيع والعميدي، وقد شفع ذلك بالتعليق على الأبيات بإثبات السرقة أو نفيها، أو تفضيل شعر الآخذ على المأخوذ منه أو العكس، وهنا يجب التنبيه على أن الجرجاني قد جعل أغلب سرقات المتنبي مرتبطة بأبي تمام؛ لأن الأخير يعدُّ من أقدر الشعراء في ابتكار المعاني وتوليدها، وهو المشترك بين الشاعرين، وفيما يلي نشير إلى بعض سرقات المتنبي [43] :

يقول أبو تمام :

غَرَّبَتْهُ العُلَا عَلَى كَثْرَةِ الأهْـ	ـلِ فَأَضْحَى فِي الأقْرَبِينَ جَنِيبَا

فَلْيَطُلْ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي مَرْ	وَمُقِيماً بَهَا لَمَاتَ غَرِيبَا

يقول المتنبي :

وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي	إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُمَا كَانَا

يعلق الجرجاني على هذه السرقة قائلا : « وبيتُ أبي الطيب أجودُ وأسلم، وقد أساء أبو تمام بذكر الموت في المديح، فلا حاجةَ به إليه؛ والمعنى لا يختلّ بفقده، ومن مات في بلده غريباً فهو في حياته أيضاً غريب، فأي فائدة في استقبال الممدوح بما يتطيّر منه! » [44]

يقول أبو تمام :

وَكَانَتْ وَلَيْسَ الصُّبْحُ فِيهَا بِأَبْيَضٍ	فَأَمْسَتْ وَلَيْسَ اللَّيْلُ فِيهَا بِأَسْوَدِ

يقول المتنبي :

فَاللَّيْلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبْيَضٌ	وَالصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلْتَ عَنْهَا أَسْوَدُ

يقول أبو تمام :

وَأَنَا الفِدَاءُ إِذَا الرِّمَاحُ تَشَاجَرَتْ	لَكَ وَالرِّمَاحُ مِنَ الرِّمَاحِ لَكَ الفِدَا

يقول المتنبي :

وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وِقَايَةٌ	وَلَكَ الحِمَامُ مِنَ الحِمَامِ فِدَاءُ

من خلال ما سبق يتبين لنا أن السرقات الشعرية تعدُّ من أهم القضايا التي أسالت حبرا كثيرا في الدرس النقدي القديم، وأن ظهورها كان منذ فجر الشعر العربي، واستمرَّ الأمر على حاله إلى أن اشتدَّ في العصر العباسي، بفعل الحركة التجديدية في الواقع الشعري آنذاك، وخاصة مع بروز الخصومة بين القدماء والمحدثين، إلا أن أهم من دارت حولهم هذه القضية هما أبو تمام في القرن الثالث الهجري، والمتنبي في القرن الرابع، فأما أبو تمام لعلَّ التنافس الشعري بينه وبين البحتري، واختلاف الناس حولهما، جعل المناوئين له يفتشون في شعره بحثا عن السرقات، فنشطت بذلك الحركة التأليفية بجسدة هذا الصراع، فظهرت عدة مؤلفات، ولعلَّ أهمها هو كتاب الموازنة بين الطائيين للآمدي، وأما المتنبي الذي يمثل حالة شعرية نادرة ملأ

الدنيا وشغل الناس، فقد أشعل هو الآخر الحركة النقدية في زمنه وما بعده، فاختلفت مواقف النقاد بين مدافع عنه، وبين متهم له، ويمثل كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني المرجع في هذه القضية.

الهَوَامِشُ وَالإِحَالَاتُ:

[1]- أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط10، 1994، ص260.

[2]-علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط01، 2006، ص 161.

[3]-أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج02، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1420هـ ، ص 346.

[4]-إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط04، 1983، ص 33.

[5]-محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي (دراسة تحليلية مراقبة)، مكتبة الأنجلة المصرية، القاهرة، مصر، ط01، 1958، ص 03.

[6]-أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب،ج10، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ ، ص 156، مادة : " سَرَقَ "

[7]-يُنظر : الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، عالم الكتب الحديث, الأردن, ط 01، 2009، ص 275 – 277.

[8]-أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مرجع سبق ذكره، ص264.

[9]-محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج02، شرحه : محمود محمد شاكر، دار المدني، السعودية، دط ، ص 734.

[10]-يُنظر: محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي (دراسة تحليلية مراقبة)، مرجع سبق ذكره، ص 10.

[11]-حسان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1994، ص 106.

[12]-ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج02، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط05، 1981، ص 280.

[13]-المصدر نفسه، ج02، ص 284.

[14]-محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996، ص 357-358.

[15]-ابن الرومي، الديوان, ج01، شرح : أحمد حسن بسج , دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان, ط02، 2002، ص 180.

[16]-أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، فحولة الشعراء، تح: المستشرق ش. تورّي، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان ط02، 1980، ص 19.

[17]-أبو عبد الله محمد المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1995،، ص 135.

[18]-أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط01، 1952، ص 196.

[19]-ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج01، مصدر سبق ذكره، ص91.

[20]-يُنظر: محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، مرجع سبق ذكره، ص 357- 358.

[21]-المرجع نفسه، ص 358.

[22]-محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي (دراسة تحليلية مراقبة)، مرجع سبق ذكره، ص 76.

[23]-أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ج01، تح : السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط04، 1982، ص 137.

[24]-أبو عبد الله محمد المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، مصدر سبق ذكره، ص 344.

[25]-أبو بكر محمد بن يحي الصولي، أخبار أبي تمام، تح : خليل محمود عساكر وآخرون، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط03، 1980، ص63 – 64.

[26]-أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، وكالة المطبوعات، الكويت، ط01، 1973، ص236.

[27]-أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ج01، مصدر سبق ذكره، ص 112.

[28]-يُنظر : الصفحة نفسها.

[29]-يُنظر : المصدر نفسه، ج01، ص 114 – 115.

[30]-المصدر نفسه، ج01، ص 123.

[31]-المصدر نفسه، ج01، ص 124.

[32]-أبو عبد الله محمد المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، مصدر سبق ذكره، ص 352.

[33]-الصفحة نفسها.

[34]-أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج01، تح: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1983، ص37.

[35]-المرجع نفسه، ج01، ص 150 - 151.

[36]-أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، مرجع سبق ذكره، ص 263.

[37]-ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج02، مصدر سبق ذكره، ص 281.

[38]-يوسف البديعي الدمشقي، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تح: مصطفة السقا ومحمد شتا، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط03، 1994، ص 265- 266.

[39]-أبو سعد محمد بن أحمد العميدي، الإبانة عن سرقات المتنبّي، تح : إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1961، ص 22.

[40]-يوسف البديعي الدمشقي، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، مصدر سبق ذكره، ص 181.

[41]-أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج04، مرجع سبق ذكره، ص 05.

[42]-أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، مرجع سبق ذكره، ص 273.

[43]-يُنظر : علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، مصدر سبق ذكره، ص 186 – 341.

[44]-المصدر نفسه، ص 188.